

خطاب النسوية العربية المعاصرة

فاطمة المرنيسي أنموذجاً

Contemporary Arab Feminist Speech: Fatima Mernissi as a model

بنت الشريف حبوشي: طالبة دكتوراه، جامعة وهران 2
تحت إشراف د بلحمام نجا ، جامعة وهران 2

ملخص:

إن إقبالنا على تناول الخطاب النسوي العربي لفاطمة المرنيسي إنما يستهدف البحث في إشكالات جديدة تشغل الفيلسوف وعالم الدين وعالم الاجتماع على حد سواء وتتصل خاصة بمسألة النوع الاجتماعي- ثنائية الرجل والمرأة - المستندة على تقسيم اجتماعي/ثقافي للجنس، ولذلك انتبهنا إلى أهمية اعتماد المرنيسي على البعد البراديغمي في مشروعها، والذي من خلاله حاولت قراءة سؤال النوع الاجتماعي، انطلاقاً من الثقافة الإسلامية، باعتبارها تراثاً فكرياً وتاريخياً، تناولته بالدراسة والتحليل كمدخل أساسي للكشف عن طبيعة ديناميكية العلاقة بين الجنسين في المجتمع الإسلامي المعاصر، إلى جانب البعد المفاهيمي والمتمثل في ربطها ما بين "الحجاب" و"الهندسة الاجتماعية" --، بما يستلزمه هذا الربط من تحكيم منطق الحساب والإستراتيجية والتنظيم.

الكلمات المفتاحية: النسوية ; الجنسانية; التراث; الحجاب; النوع

مقدمة:

يميز الدكتور محمد عمارة بين اتجاهين يتناولان قضايا المرأة في راهننا ، وهما الاتجاه الديني و الاتجاه العلماني، وكلاهما غال في تناوله للقضية ، فغلو الأول ناجم عن التقليد الأعمى للتراث ، و أمّا غلو الثاني فناجم عن استلاب من النموذج الغربي اللاديني، و يرى أن الاتجاهان وجهان لعملة واحدة¹، أمّا خطاب المرينسي* فمختلف عن خطاب معاصريها من مثل نوال السعدواي* ، حيث أنتجت خطابا مغايرا في الطرح والمنهج و الأداة .

تنطلق المرينسي من داخل التراث نفسه ، فتري أن الإسلام كرم المرأة ورفعها ، و المشكلة حسنها تكمن في التأويل المغلوط للنص الديني ، هذا التأويل الذي استغلته السياسية ، إن قضايا المرأة في خطاب المرينسي ليست فقط قضية جنس مؤنث ومذكر، كما إنها ليست قضية تخلف اجتماعي أو انحطاط فكري ، وليست بالقطع مجرد قضية دينية، وكلها زوايا مشروعة في تحليل تلك القضايا بل هي بالإضافة إلى ذلك كله وعلاوة عليه، قضية أزمة السلطة السياسية في علاقاتها بالناس منذ فجر التاريخ العربي².

فهذا ما جعلها تنكب على التراث و تقوم بالحفر فيه و حسنها " لفهم تاريخ النساء في الإسلام، على الأخص في الإسلام،...، لقد آن الأوان للبدء في عمل تاريخ للمسلمين بالذهاب إلى ما وراء إسلام الإمام/ال خليفة/رئيس الجمهورية، تاريخ القصور و علمائه و يتجاوز إسلام الأسياد، و بالدخول من اجل هذا العمل إلى مناطق موحلة و قاتمة من الهامشية و الاستثنائية، أي تاريخ الثورات الدينامكية، تاريخ النظام المتعارض، تاريخ الرفض و المقاومة تلك هي القراءة التاريخية الوحيدة الجديرة بأن تعطي المسلم من جديد عظمت الإنسانية، بإظهارها لنا ، ليس كمطيع ألي و إنما ككائن مسؤول ، قادر على الرفض الطاعة عندما يؤمر بأن يشوه نفسه، و أن يتخل عن أُمليته في التفكير بحياته"³، أرادت أن تقوم بنقلة نوعية في قضية تحرير المرأة حيث قرعت التابوهات ، المحرمات الثلاث المقدس (الدين، السياسة، الجنس و المرأة)

1 محمد عمارة، التحرير الإسلامي للمرأة الرد على شبهات الغلاة، دار الشروق، القاهرة، ط2002، ص1، 10، 11.

*فاطمة المرينسي : من مواليد 1940 بفاس المغرب ، كاتبة و عالمة اجتماع مغربية ، تهتم كتاباتها بالمرأة و تحليل تطور الفكر الإسلامي و بالموازاة مع ذلك تقود كفاحا في إطار المجتمع المدني من اجل المساواة و حقوق النساء ، تابعت دراساتها بالرباط ثم بفرنسا ، فالولايات المتحدة الأمريكية و تعمل كأستاذة بجامعة محمد الخامس بالرباط و هي عضو في المجلس الاستشاري لجامعة الأمم المتحدة ، تكتب بالإنجليزية و الفرنسية و قد ترجمت كل مؤلفاتها إلى اللغة العربية، توفيت في نوفمبر 2015.

* نوال السعدواي مواليد 1930 مصرية ، طبيبة و ناقدة و كاتبة وروائية مصرية ، يطلق عليها سيمون دو بوفوار العرب ، مدافعة عن حقوق الإنسان و حقوق المرأة بشكل خاص، مؤلفة أكثر من أربعين كتابا في مجالي الأدبي و العلمي ، تؤمن بتحرير العقل ، المرأة ، الإنسان.

2 نصر حامد أبو زيد، دوائر الخوف قراءة في خطاب المرأة، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط3، 2004، ص، 245.

3 فاطمة المرينسي، السلطانات المنسيات، ترجمة عبد الهادي عباس، دار الحصاد، دمشق، 1994، ص، 143.

و الإشكالية التي سنتناولها تكمن في الأسس الفكرية التي يقوم عليها خطاب المرئسي النسوي* ، فنطرح مجموعة من التساؤلات : إذا كان الإسلام الروحي كما جاء في القرآن الكريم وعلى لسان رسول صلى الله عليه وسلم قد ساوى بين المؤمنين والمؤمنات فكيف تمكن الإسلام السياسي التاريخي من تجاوز هذا العمل بالمكبوت التاريخي؟ ما سبب العداء بين السلطة والمرأة؟ والسياسة والنسوية؟ لماذا أقصيت المرأة سياسيا؟ ولماذا التاريخ السياسي لم يسجل أي مساهمة نسوية؟

" تعاملت المرئسي مع النص التراثي كشبكة علاقات معرفية وسلطوية، وهذا بإخضاعها للنص التراثي لعملية تشريحية دقيقة وعميقة تحوله بالفعل إلى موضوع للذات، أي مادة للقراءة ، فهي تشخص معنى النص من ذاته أي من العلاقة بين أجزائه ، فهي تمتزج المعالجة البنيوية والتحليل التاريخي للنص التراثي ، دون أن تغفل عما يسميه الجابري بالطرح الإيديولوجي"¹، ألقت المرئسي العديد من الكتب باللغة الفرنسية، ترجمت إلى أكثر من لغة من بينها اللغة العربية من أهمها: ما وراء الحجاب، الجنس كهندسة اجتماعية، الحريم السياسي، هل أنتم محصنين ضد الحريم، الجنس و الإيدولوجيا و الإسلام، الإسلام و الديمقراطية، شهرزاد ترحل إلى الغرب، أحلام المساء الحريم، نساء على أجنحة الحلم. سوف نتناول خطاب المرئسي النسوي من خلال توقفنا عند نقاط أساسية:

الحجاب

السياسة

العرض:

1/- المرأة : حجاب العقل / حجاب الجسد :

لقد بدأ الخطاب النسوي المطالبة بحقوق المرأة السياسية والاجتماعية من الهيمنة الأبوية و العنف ضد النساء ، كما راح يستكنه مواضيع أهمها : القوامة ، والميراث ، والتعدد وغيرها من المواضيع غير أنه من المهم أن نشير هنا إلى أن الحجاب حظي باهتمام بالغ في حقل الدراسات النسوية ، فقد شكّل همّا معرفيا نسويا ، من لدن هدى شعراوي* التي كانت أول مصرية تنزع

* تعرف النسوية feminism في معجم ويبتر على أنها النظرية التي تنادي بمساواة الجنسين سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وتسعى كحركة سياسية إلى تحقيق حقوق المرأة واهتماماتها وإلى إزالة التمييز الجنسي الذي تعاني منه المرأة. أما في قاموس كامبردج للفلسفة النسوية هي تلك الفلسفة الراضية لربط الخبرة الإنسانية بخبرة الرجل، دون خبرة المرأة. أما سارة جامبل فقد أوردت تعريفا أكثر شمولية، النسوية مصطلح يشير إلى كل من يعتقد أن المرأة تأخذ مكانة أدنى من الرجل في المجتمعات التي تضع الرجال والنساء في تصانيف اقتصادية أو ثقافية مختلفة، وتصر النسوية على أن هذا الظلم ليس ثابتا أو محتوما، وأن المرأة تستطيع أن تغير النظام الاجتماعي والاقتصادي والسياسي من طريق العمل الجماعي.

¹ الربيعو تركي، الخطاب النسوي المعاصر قراءة في خطاب نوال السعداوي وفاطمة المرئسي، مجلة نزوى، العدد: 11، جوان، 1997، عمان، ص، 48، 47.

* هدى الشعراي ولدت في مدينة المنيا في صعيد مصر في 23 يونيو 1879 ، وتوفيت في 12 ديسمبر 1947 م. تنتمي هدى شعراوي إلى الجيل الأول من الناشطات النسويات المصريات

الحجاب، و تقود مظاهرات نسائية دعما لثورة سعد زغلول ، وأنشأت الاتحاد النسائي في مصر 1933، كما شاركت في 14 مؤتمر نسائيا دوليا في أنحاء العالم العربي، و أسست مجلتين واحدة بالعربية و أخرى بالفرنسية¹، إلى جانب ذلك أقامت في 1944 مؤتمرا نسائيا عربيا في مصر كان من أهم مخرجاته : تقيد الطلاق و تعدد الزوجات ، و الحد من سلطة الولي، المساواة التامة بين الرجل والمرأة ، المطالبة بحذف نون النسوة، المطالبة بالجمع بين الجنسين في التعليم الابتدائي².

و تعتبر نظيرة زين الدين^{*} أول امرأة تلجأ إلى أدوات المنظومة الفقهية لدعم موقفها من الحجاب ففي كتابها المعنون بالسفور و الحجاب : محاضرات و نظرات مرماها تحرير المرأة و التجدد الاجتماعي في العالم الإسلامي صدرت نظيرة الأدلة الدينية التي ساقتها لدحض فرضية الحجاب بقولها: "إن أصول الدين في الإسلام أربعة: الكتاب ، و السنة، و الإجماع، ثم القياس على رأي السنيين، و العقل على مذهب الشيعة . أقول هذا لأن خطابي موجه للمسلمين عامة، لا لفئة منهم خاصة. فلنبتدئ بالبحث في آيات الكتاب"³، و بهذا تكون أول من يحسب لها الاجتهاد، حيث كشف الفكر النسوي عن معضلة السلطة الأبوية و التمييز المبني على فكرة النوع الاجتماعي و إبعاد النساء من غالبية مناحي الحياة العامة عبر المجتمعات و الثقافات الإنسانية المختلفة ، حيث كان من الطبيعي أن يتقاطع البحث النسوي مع الدراسات الدينية لينتج عن ذلك مجال جديد من المعرفة و الأبحاث التي تخصصت في تمحيص الأديان، و أفكارها و خطاباتها من زاوية موضع المرأة في المجتمع ، بصيغة أخرى مقارنة الدين بشكل واعي للهوية الاجتماعية و النوعية (الجندرية) للنساء كنساء⁴

لقد تناولت المرنيسي موضوع الحجاب في القسم الثاني من كتاب الحريم السياسي (الني والنساء) تحت عنوان: مدينة في ثورة السنوات المصيرية الثلاثة.

توقفت عند الآية المتعلقة بنزول الحجاب في سورة الأحزاب (الآية 53)، التي في نظرها هي التي يعتبرها مؤسسي العلم الديني كأساس الحجاب ، مؤكدة على اعتمادها على المصادر الإسلامية الأصلية كتفسير الطبري وابن هشام صاحب السيرة، و طبقات ابن سعد ، و ابن حجر العسقلاني ، و صحيح البخاري وغيرها.

تبحث أولا في سبب نزول الآية معتمدة في ذلك على الطبري : فأية الحجاب نزلت في غرفة الزوجين من أجل حماية حياتهما الخاصة ، و إبعاد الشخص الثالث عن النظر و هو انس بن مالك ، و هذا

¹ إيفان الدراجي ، خمس و سبعون امرأة ألهمت و غيرت التاريخ، دار أكد ، ط1، ، 2012، ص، 157-160.

² بشرين فهد البشر، أساليب العلمانيين في تغريب المرأة المسلمة، دار المسلم، الرياض، ط1، 1994، ص، 22.

^{*} نظيرة زين الدين ولدت في لبنان 1905 كان والدها متخصصا في أصول الفقه الإسلامي.

³ ملاك إبراهيم الجني، قضايا المرأة في الخطاب النسوي المعاصر ، مركز انماء للبحوث و الدراسات ، بيروت ، ط1، 2015، ص، 192.

⁴ رندة أبو بكر، أميمة أبو بكر، النسوية و الدراسات الدينية، مؤسسة المرأة و الذاكرة، مصر ، ط1، 2012، ص، 10.

حسب روايته قال : لما تزوج النبي عليه الصلاة والسلام زينب بنت جحش ، دعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون ، فأخذ كأنه يتهيأ للقيام فلم يقوموا ، فلما رأى ذلك قام ، وقام من القوم من قام و قعد ثلاثة ثم انطلقوا ، فجئت فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم أنهم انطلقوا ، فجاء حتى دخل و ذهب ادخل فألقى الحجاب بيني وبينه و انزل الله الآية ¹ ، فالحجاب هنا نزل بين رجلين وليس بين رجل وامرأة ، أي نزلت في غرفة الزوجين من أجل حياتهما الخاصة و إبعاد الشخص الثالث . و ترى أن الطبري كأنه بحث في أسباب النزول الآية ، ولكنه لم يبحث في أسباب غيظ النبي صلى الله عليه وسلم ، و المعروف عنه بهدوء أعصابه و رباطة جأشه و صبره اللامحدود ، هذا الغيظ الذي تراه أدى إلى إسراع الوحي ، وهذا ما جعلها تتساءل فيما إذا كان هناك سياق آخر . هل نحن ملزمون في استقصائنا لهذه الآية بالتركيز على حادثة عرس زينب ، و من ثمة ألا يخول لنا الإسلام البحث عن سياقات أخرى للنزول ، كالسياق التاريخي مثلا ؟

تاريخية الحجاب:

الحجاب كتيمة اجتماعية : ترى المرئسي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اقرب إلى مناصرة الحركة النسوية ، فهو مخلص لقضايا المرأة ، بالمقابل ترى عمر الصحابي و الخليفة الثاني ذكوريا معاديا للنساء .

توقفت عند السورة 33 الآية 59 الخاصة بنزول الحجاب على المدينة و بحثت في سبب النزول ، و انتهت إلى سببين :

أولاً: أن نساء النبي صلى الله عليه وسلم كنّ يتعرضن للمضايقات من قبل السفهاء في المدينة ، و ذلك لما كان يخرجن بالليل لقضاء حاجتهن .

و حين جرى البحث و الاستعلام عن الاعتداءات كان الجواب من قبل السفهاء على أنهم لم يفرقوا بين الأمة و الحرة ، و تؤكد أنها نزلت الآية لحماية نساء النبي عليه الصلاة والسلام ، و لتفريق بين الحرة و الأمة ، لكي لا يُعرفن ، و تضيف : لم يكن عنصرا ثيابيا جديدا و إنما طريقة جديدة للباس القديم و تبحث عن مدلول الجلباب باعتمادها على لسان العرب لابن منظور لتقرّ أن مفردة جلباب مفهوم غامض ،

تؤكد المرئسي على انه كان هناك بغاء في المدينة و ذلك لقوله تعالى: " وَلَيْسَتَغْفِرِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَأَتَوْهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (33) سورة النور ،

" فالحجاب في نظرها هو انتصار للمنافقين الذين لم يتصوروا المرأة إلا موضوعا للعنف و الشهوة ، في منطق الحجاب حل قانون الاغتصاب القبلي في محل عقل المؤمن ، الحل المتمثل لعمر بالحجاب

¹ فاطمة المرئسي، الحريم السياسي النبي و النساء، ترجمة عبد الهادي عباس، دار الحصاد ، دمشق، 1993 ، ص ، 108.

الستار الذي يخفي النساء بدلا من تغيير العقول، سيستمر بعد الإسلام كحضارة وانعكاس على الفرد".
حسبها حيث وجب إيجاد وسيلة للفصل بين الإمام، الوحيدات اللواتي كن في وضعية يمارسن فيها
البغاء، وبين النساء الحرائر.

فاذا كان الحجاب - حسب المرنيسي - جوابا على اعتداء جنسي على التعرض فإنه في الوقت نفسه
مرآته، بمعنى انه يركز و يعكس هذا الاعتداء بالاعتراف أن الجسد النسوي هو عورة.¹
" في عمق أبحاثها رأت المرنيسي أن الحجاب هو أحد المفاهيم الأساسية للحضارة الإسلامية، وهو
يعادل مفهوم الخطيئة في الحضارة المسيحية، أو مفهوم التعميد في الحضارة الأمريكية الرأسمالية، و
أشارت إلى أن اختزال مفهوم الحجاب - كما يحدث اليوم - على أنه قطعة قماش تعزل المرأة عن
الرجل، يعد افتقارا في مفهوم هذا المصطلح، خاصة إذا ما اعتمدنا قراءة الآية كاملة وتفسير الطبري
لها".

ثانيا: ترى المرنيسي أنّ عمر - رضي الله عنه - هو الناطق الرسمي للمقاومة الذكورية ضد مشروع
المساواة النبوي، فكان نساء الأنصار يشكلن تهديدا للأبوية التي يعتقدها عمر، وقد عبّر عمر عن هذا
يقوله: كنا يا معشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا على الأنصار إذ قوم تغلبهم نساؤهم، فطفق
نساؤنا يأخذن من أدب نساء الأنصار، فصحت على امرأتي فراجعتني فأنكرت أن تراجعني فقالت ولم
تنكر أن أراجعك فوا الله أن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يراجعنه وأن إحداهن لتتهجره حتى
الليل فأفزعتني فقلت خابت من فعل منهن بعظيم²

وتضيف أن عمر أراد - بمحبة شديدة - أن يؤسس للحجاب بالنسبة للنساء، وقد ردّد على النبي
صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله إنك تستقبل في منزلك، البرّ والفاجر، فلماذا لا تأمر بالحجاب
لأمهات المؤمنين؟³، وهذا ما تؤكد عليه أيضا رجاء بن سلامة* حول تشبث عمر رضي الله عنه
بالحجاب وفق ما ذكر ابن كثير في مستهل تفسيره لأية الحجاب، بقوله: " هذه آية الحجاب، وفيها
أحكام و آداب شرعية، وهي مما وافق تنزيلها قول عمر، كما ثبت في الصحيحين عنه أنه قال: وافقت
ربي في ثلاث فقلت: يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى؟، فأنزل الله: " وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ
مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ
لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (125) سورة البقرة. و قلت: يا رسول الله إن نساءك ليدخل
عليهن البر والفاجر، فلو حجبتن، فأنزل الله آية الحجاب.. و قلت لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم:

¹ فاطمة المرنيسي، المصدر السابق، ص، 220.

² فاطمة المرنيسي، المصدر نفسه، ص، 173.

³ فاطمة المرنيسي، المصدر السابق، ص، 221.

* رجاء بن سلامة باحثة وكاتبة تونسية، ولدت في 2 أوت 1968 باحثة وكاتبة تونسية، ولدت في 2 أوت 1968

لما تمادين في الغيرة عليه : عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنْكَنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا (5) سورة التحريم ، فنزلت كذلك¹.

الحجاب كتمثّل سياسي :

إن قضايا المرأة في خطاب المرنيسي ليست فقط قضية جنس مؤنث ومذكر، كما إنها ليست قضية تخلف اجتماعي أو انحطاط فكري وليست بالقطع مجرد قضية دينية، وكلها زوايا مشروعة في تحليل تلك القضايا بل هي بالإضافة إلى ذلك كلّ ، قضية أزمة السلطة السياسية في علاقاتها بالناس منذ فجر التاريخ العربي².

نزلت آية الحجاب في السنة الخامسة هجرية التي تسمّيها المرنيسي بسنة الشّوم ، فهذه السّنة لم تكن كغيرها من حيث إنّها مثّلت فاجعة متعدّدة المناحي ، فقد بدأ تحليلها لظاهرة الحجاب من المنظور السياسي ابتداء من:

أوّلا : الرجوع إلى زمن الهجرة النبوية من مكة إلى المدينة ، وكيف أنّ أهل المدينة استقبلوه بالرغم من معاداته لقريش وأسياد مكة.

ثانيا : تتطرق إلى غزوة بدر و الانتصار الذي حققه النبي عليه الصلاة والسلام مع جيش المسلمين ضد الكفار.

ثالثا وقوفها عند غزوة أحد التي حصلت بعد غزوة بدر بعام واحد، و الأثر الذي تركته جراء انهزام المسلمين وحصل هذا في السنة الثالثة هجرية و بحثت في أسباب الفشل أيضا.

" لم يكن يوجد في المدينة بيت واحد يخلو من الحداد، وعندما عاد الرسول عليه الصلاة والسلام إلى المدينة، سمع النواح إلى باب الجامع، و طلب معرفة السبب، فقليل له: إنهن نساء الأنصار يندبن قتلى أحد..."³

و في هذه الفترة - بزعمها - لم يستطع الرسول صلى الله عليه وسلم أن يحقق مشروع المساواة بين الجنسين ، لأنه رفض انتقاص الجنس ، و رفض إخفاءه، لقد أخفق مشروعه لأنه رفض أن يفصل حياته الخاصة عن حياته العامة، لم يدرك الجنس و السياسة إلا مرتبطين ، كان يمضي للصلاة و هو خارج من منزل عائشة ، و استمر رغم نصائح عمر بالذهاب إلى الحرب مصحوبا بواحدة من نسائه، اللواتي اعتدن التدخل في الشؤون العامة ، يستعلمن و يستخبرن بحرية عما يجري حولهم ، لم تكن نسائه على ساح المعركة مجرد متفرجات و لكنهن يشاطرنه في اهتماماته الإستراتيجية و كان يستمع لنصائحهن ، فمثلا حادثة حلق الشعر أثناء معاهدة الحديبية مع المكّيين التي كانت ترافقه

¹ المصدر نفسه، ص، 332.

² نصر حامد ابوزيد، المرجع السابق، ص، 245.

³ فاطمة المرنيسي، المصدر السابق ، ص، 133.

ففيها أم سلمة، ويصف الطبري مشهدا أخريظهر فيه عمر غاضبا من عائشة تتجول في الجبهة على جوانب الخنادق¹

من السنة الثالثة هجرية إلى السنة الخامسة لم يحقق المسلمون أي انتصار على المكين، وهناك حدث آخر في نفس السنة وهو تحالف أحزاب قريش مع قبائل العرب واليهود وحاصروا المدينة لغزو المسلمين، وعرفت هذه بغزوة الأحزاب وتسمى كذلك الخندق، لأن النبي عليه الصلاة والسلام أمر بحفر خندق حول المدينة.

فأية الحجاب تشكل جزءا من سورة الأحزاب التي تعني تحالف القبائل وتصف حصار المدينة. وأن هذه الأوضاع أثرت في نفوس الناس وفي أخلاقهم أيضا، وظل الحال على ما هو عليه حتى فتح مكة في السنة الثامنة هجرية وهذا ما يؤكد القسم الأخير من الآية 35، وتضيف إن الطبري تناول هذا بشكل منفصل على الرغم من أنه يفسر القرآن جملة بجملة، فحسب ما جاء في التفسير أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان قد هدد من قبل أشخاص كانت عندهم الرغبة بالزواج من نسائه بعده، تتساءل الرئيسية أيعقل ذلك؟ وهذا إن دل فيدل على عمق الأزمة حتى يتجرأ ويحصل هذا العدوان اللفظي على النبي عليه الصلاة والسلام.

تستخلص أن سورة الأحزاب تناولت غزوة الخندق وكذلك زوجات الرسول عليه الصلاة والسلام هن أمهات المؤمنين وجعل حرمتهم على المسلمين كحرمة أمهاتهم، وتنظيم علاقة المسلمين ببيت الرسول عليه الصلاة والسلام باحترام خصوصياته وتلخص أن الآية خاصة بنساء النبي وذلك لإقصائهم من الحيز العام إلى الحيز الخاص.

تتساءل الرئيسية في خلاصة هذا الكتاب عن النساء المسلمات اللواتي قاومن الحجاب، فتتحدث عن سكيئة إحدى حفيدات الرسول صلى الله عنه وسلم من ابنته فاطمة، التي شهدت مقتل والدها بكريلاء وهذا ما يفسر - في نظرها - جزئيا تمردا على الإسلام السياسي، والتي أبت أن تخرج إلا سافرة، وظهر مصطلح جديد وهو البرزة، التي تعني امرأة بارزة المحاسن.

تمثّلات الحجاب في اللغة :

باعتماها على منهج السيوطي وهو مطابقة ظروف الوحي للتحليل اللغوي، وقفت عند المدلول الخاص بالحجاب، "أنه مفهوم ثلاثي الأبعاد :

الأول : رؤوي: الحجب عن النظر. فجذر الفعل، حجب يعني أخفى، خبا.

الثاني : فراغي فصل، عين حدا، وامام عتبة.

الثالث : أخلاقي يعود لميدان المحرم ²، إن الحيز البيئي أو المستور بحجاب هو حيز محرم.

¹ ملاك ابراهيم الجبني، المرجع السابق، ص، 360.

² فاطمة الرئيسية، المصدر السابق، ص، 115.

توقفت عند لسان العرب لابن منظور: "فكلمة حجب تعني أخفى بستر، والستر يعني حرفيا ستار، إن العملية تقسيم الحيز الفضاء إلى اثنين وتخفى قسما عن النظر"¹، ويضيف أن بعض مرادفات فعل حجب، تكونت انطلاقا من كلمات ستر و حجاب، فستر و حجب تعني كلاهما أخفى، و تقدم أمثلة لإثراء الموضوع: حجاب الكعبة، حجاب الأمير.

لتعرج على كلمة حجاب عند المتصوفة ذات الدلالة سلبية، فالمحجوب في الصوفية ذلك الذي حجب عن الحق بالشهوة الحسية أو العقلية، فلا يتسرب النور الإلهي إلى قلبه، أي أنه المغطى بحجاب أو ستار وليس إلهيا، فالمحجوب هو الذي أعيق في حقيقته الأولى، فالحجب عكس الكشف عند المتصوفة، فالبحت الدائم عند العلاج هو الذي يسمح بتجاوز الحجاب الذي يحجب وعينا.

و تضيف إن الحجاب يمكن أن يعبر عن بعد مكاني، يميز عتبة بين منطقتين متميزتين، وأنه يجب أن يحجب، ما هو إلا قوة أو سلطة: كما في حالة حجاب الأمير، فهذا الحجاب وجب احترامه، لكن على العكس الحجاب الصوفي يمنع المعرفة بالله، فهذه الحالة تبين أن الفرد المنتقص هو المحجوب، والذي يفصلك عن الله يجب تدميره².

و تقدم المرئيسي الأساس النظري لهذه المقاربة، إذ ترى أن النساء في التصور الإسلامي كائنات جنسية تنطوي على تهديد دائم، وقد قامت الهندسة الاجتماعية في الإسلام على أساس تقسيم المكان فللنساء المنزل، وللرجال المجال العام³

2 المرأة وسؤال السياسة:

تقول المرئيسي: "بما أنني امرأة مسلمة فلا شيء يمنعني من القيام ببحث مزدوج تاريخي و منهجي حول الحديث ومن رواه، ولا سيما حول الظروف التي استعمل فيها لأول مرة، فمن روى هذا الحديث؟ واين؟ ومتى ولمن ولماذا؟"⁴، فتتوقف في بحثها هذا عند الحديث الذي رواه الصحابي أبو بكر عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: « لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة » الذي يعد من الأحاديث الصحيحة للبخاري من أصل 7275 حديث صحيح ومعتمد في مقابل 4000 حديث مكرر و 59725 حديث كاذب وهذا بعد اقل من 200 سنة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم أي في زمن البخاري⁵.

تتساءل المرئيسي في أي مناسبة تذكر الصحابي الحديث؟ ما الحاجة إلى روايته؟ وهل ذاكرته قويه لكي يتذكره بعد ربع قرن من وفاه النبي صلى الله عليه وسلم؟ وتتساءل كذلك عن الوضع الاجتماعي للراوي، والوضع السياسي والاقتصادي للمجتمع؟

¹ المصدر نفسه، ص، 116.

² المصدر نفسه، ص، 117.

³ ملاك ابراهيم الجهني، المرجع السابق، ص، 392.

⁴ فاطمة المرئيسي، المصدر السابق، ص، 67.

⁵ المصدر نفسه، ص، 58.

روى أبي بكرة الحديث في الوقت الذي استرد فيه علي البصرة بعد أن غلب عائشة في معركة الجمل*، أي في الوقت الذي أعدمته فيه سياسيا، حيث صرع 13000 من رجالها في المعركة، فكان على أبي بكرة العبد من الطائف الذي اشترى حريته بمجرد انضمامه في جيش الرسول صلى الله عليه و سلم أن يتذكر الحديث الذي تلفظ به الرسول صلى الله عليه و سلم قبل ربع قرن وذلك عندما سمع أن الفرس سمو امرأة لتحكمهم، هذا لكي يبرئ نفسه أمام علي وخصوصا انه كان قد أعلن عدم مشاركته في المعركة من قبل.

و من خلال بحثها في كتاب السير لابن الأثير و استنادا على قول مالك: "يوجد أشخاص استبعدتهم كرواة للحديث، ليس لأنهم كذبوا بصفتهم رجال علم في روايتهم لأحاديث كاذبة لم يقلها النبي، و إنما ببساطة لأنني رأيتهم يكذبون في علاقتهم التي كانوا يتعاملون بها مع الناس"¹ ترفض المرينسي أبا بكرة كمصدر للحديث باعتباره قد جلد من طرف الخليفة الثاني عمر بسبب قذفه للمغيرة بن شعبة بالزنا، لاعتباره مصدر غير موثوق فيه، و أيضا بالرجوع إلى مثنى السند فقد رأينا ملكة سبأ التي قادت شعبها إلى الإسلام و هو الفلاح قوله تعالى عن المؤمنين: (البقرة الآية: 5)، و بذلك أفلح قومها بولايتها بهم و لم يخيبوا، أما فرعون فهو رجل و لم يفلح قومه بتوليته زمام أمورهم، فالذكورة و الأنوثة إذا ليست بضمان لنجته الحاكم و فشله، و بذلك يخالف القرآن مثنى الحديث حسب نيفين رضا.

نظرا لأهمية هذا الحديث باعتباره الحجة الحاسمة للذين يريدون إبعاد النساء عن السياسة، حيث يستحيل عمليا التعرض لمسألة الحقوق السياسية للمرأة دون الرجوع إليه، في علاقة المقدس بالسياسة " فالنص المقدس لم يجر تداوله فحسب، بل إن تداوله هو خاصية بنيوية لممارسة السلطة في المجتمعات الإسلامية ... دفعت المغامرات السياسية و المصالح الاقتصادية إلى تصنيع أحاديث كاذبة... الأمر الذي يسمح على الفور بإضفاء الشرعية"²

تقف عند أحاديث أخرى معادية للنساء كان قد رواها الصحابي أبي هريرة لترفضه كراوي، لتخلص في نهاية بحثها أن هذا العداء لا يمكن رده للنبي العاشق المحب و المعادي للاستقرارية و العنف الداعي للمساواة، فهذا يتنافى مع مبدأ المساواة التي نادى بها النص القرآني بين الجنسين.

" تشير المرينسي إلى وجود مسافة بين الإسلام الروحي و الديني في صورة نصوصه النقية التي جعلت المرأة مساوية للرجل و بين التطبيق السياسي الذي ارتبط بالدولة الإسلامية في عصور ازدهارها سلبا و إيجابا، ابتداء من العصر الذهبي للفتوحات و حتى عصر الدويلات الضعيفة المستلبة

* سميت معركة الجمل نسبنا للجمل الذي كانت تمتطيه السيدة عائشة رضي الله عنها

¹ فاطمة المرينسي، المصدر السابق، ص، 77.

² المصدر نفسه، ص، 19.

سياسيا"¹، تفرق بين الإسلام الروحي كنص وبين التطبيق السياسي في قولها: "تحاشيا لكل سوء فهم وكل تشويش، فإنه من الطبيعي، في كل مرة أتكلم فيها عن الإسلام دون أي وصف في هذا الكتاب، فإنني أقصد فيه الإسلام السياسي، الإسلام كممارسة للسلطة وأعمال الرجال المدفوعين بمصالحهم والمشبعين بالأهواء، وهو ما يختلف عن الإسلام – الرسالة، الرسالة الإلهية، الإسلام المثالي المدون في القرآن الكريم. وعندما أتكلم عن هذا الأخير فأني أعبر عنه بالإسلام كرسالة، أو الإسلام الروحي"²،

المرنيسي على وعي تام بأن الجنس في حالة تبعية تاريخية للجنسانية كما يقول المفكر تركي الربيعو، فتقترب من فوكو باعتبار أن الجنسانية هي الصياغة العلمية للجنس وما يكتنفها من جاهزيات المعرفة والسلطة، فتتجه مباشرة إلى حقل السلطة / المعرفة، "السلطة في اللغة العربية و السلطة كما أشار إليها في القرآن هي أن الخلافة لا تكون إلا للذكر، أي ليس هناك نسوية لا بالنسبة للإمامة ولا بالنسبة للخلافة"³، في كتابها ما وراء الحجاب تقرأ أحد السمات المميزة للجنسانية في الإسلام هي فكرة الحيز المكاني، بحيث يعكس تقسيما معيناً عالم الرجال الأمة الذي يرادف الدين و السلطة، عالم النساء الذي يمثل مجال الحياة الجنسية و الأسرة، و بتعبير آخر هناك الذين يمتلكون النفوذ و السلطة في جانب، و الذين جردوا منهما في الجانب الآخر⁴، بذلك أضحت المرأة مجرد آلة للجنس باعتبار أن سكان العلم المنزلي يتحددون بواسطة أعضائهم، وتصبح المرأة بذلك حبيسة الحريم، التي تعني الحرام و الحرم في آن، أو المكان المقدس الذي يخضع الدخول إليه إلى قوانين محددة و صارمة، ويشمل في آن المكان و النساء و يملكهن رجل واحد هو الحامي و السيد⁵.

الخاتمة :

حاولت المرنيسي أن تقدّم وجهة نظرها عن الحجاب انطلاقاً من تأويلها للنص الديني، وفي ذات الوقت أشارت إلى أن تمثيلات الحجاب عبر العصور خضعت لتعسف كبير في التأويل، كان مصدره السلطة الاجتماعية المتمثلة في الأبوية، أو في السلطة السياسية التي ما فتئت تستغل الدين وتجريه في مجراها، وظلّت – المرنيسي – تعتبر الحجاب ظاهرة أملت لها سياقات معينة، لا يمكن أن ترقى إلى قضية الحلال والحرام والجنة والنار كما روّجت له بعض الدوائر.

¹ آمال موهوب، صوت المرأة في زمن الصمت، فاطمة المرنيسي نموذجاً، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، المغرب، العدد: 10، 2013، ص. 51.

² فاطمة المرنيسي، السلطانات المنسيات، ص. 18.

³ فاطمة المرنيسي، السلطانات المنسيات، ترجمة عبد الهادي عباس، دار الحصاد، دمشق، 1994، ص. 16.

⁴ فاطمة المرنيسي، ما وراء الحجاب الجنس كهندسة اجتماعية، ترجمة فاطمة الزهراء أزويل، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط. 4، 2005، ص. 150.

⁵ فاطمة المرنيسي، هل أنتم محصنون ضد الحريم؟، ترجمة نهلة ببيضون، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط. 2، 2004، ص. 9.

ثم لا يفوت المرئسي أن تشير إلى أن ظاهرة الحجاب ، كحادثة ثقافية دينية بالدرجة الأولى قد كانت محلّ تجاذب بين تيارين مثلا طرفي نقيض : التزمّت الديني ممثّلا في الفقه ذو المرجعيّة التراثيّة ، أو الرأي العلماني المنفكّ عن كلّ التقاليد ، والذي يقفز على كل الحواجز باختلاف مرجعياتها .

قدّمت المرئسي طرحا عميقا في رصدها للدور السياسي الذي حاولت المرأة اكتسابه ، فلقد ظلّت الممارسة السياسية للمرأة محكومة بنصوص دينية مشبوهة – من وجهة نظر المرئسي - من هنا راحت تنقّب في أسانيد الأخبار ، وأحوال الرّواة ، واهتدت إلى إن الكثير مما نعتبره من المسلمات ما هو في الحقيقة إلى صناعة أبوية هدفها البقاء على نظام الحريم الأول .

لا يمكن ان تنكر جهود المرئسي في استفزاز النقد الفلسفي المؤطر للظاهرة النسوية ، غير أن أطارحها لم تخل من تطرف ، لعلّ أهمها أنّها خاضت في الزّواة والأسانيد وفق منهج تفكيكي ، ما يجعل مخرجات مشروعها محلّ مساءلة فلسفيّة .

من جهة أخرى ظلّت المرئسي تشير إلى التأويل المغلوط للنّص الديني ، في حن لم تقدّم لمشروعها سوى ربط الظاهرة النسويّة بالسياسي ، وهذا يجعل مشروعها غير مكتمل إلى حدّ ما .

تبقى فاطمة المرئسي إحدى رائدات الحركة النسوية ، والمدافعات عن حقوق المرأة بما قدّمته من أطارح فلسفيّة حاولت فيها أن تواكب صوت العقل ، وأن تحافظ على قدسيّة النص الديني باعتباره نصّا معصوما .

قائمة المصادر والراجع:

القران الكريم

الحديث النبوي الشريف

المصادر:

- فاطمة المرينسي، السلطانات المنسيات، ترجمة عبد الهادي عباس، دار الحصاد، دمشق، 1994 .
- فاطمة المرينسي، ما وراء الحجاب الجنس كهندسة اجتماعية، ترجمة فاطمة الزهراء أزويل، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط4، 2005.
- فاطمة المرينسي، هل أنتم محصنون ضد الحريم؟، ترجمة نهلة بيضون، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط2، 2004،
- فاطمة المرينسي، هل أنتم محصنون ضد الحريم؟، ترجمة نهلة بيضون، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط2، 2004.

المراجع:

- آمال موهوب ، صوت المرأة في زمن الصمت ، فاطمة المرينسي نموذجا ، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية ، المغرب، العدد:10: 2013.
- إيفان الدراجي ، خمس وسبعون امرأة ألهمت وغيّرت التاريخ، دار أكد ، ط1، ، 2012، ص، 157-160.
- بشر بن فهد البشر، أساليب العلمانيين في تغريب المرأة المسلمة، دار المسلم، الرياض، ط1، 1994.
- ¹ ملاك ابراهيم الجهني، قضايا المرأة في الخطاب النسوي المعاصر، مركز انماء للبحوث و الدراسات ، بيروت ، ط1، 2015.
- ¹ رندة أبو بكر، أميمة أبو بكر، النسوية والدراسات الدينية، مؤسسة المرأة والذاكرة، مصر، ط1، 2012.

الدوريات:

- آمال موهوب، صوت المرأة في زمن الصمت، فاطمة المرينسي نموذجا، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية ،المغرب، العدد:10، 2013.
- ¹ الربيعو تركي، الخطاب النسوي المعاصر قراءة في خطاب نوال السعداوي وفاطمة المرينسي، مجلة نزوى، العدد:11، جوان، عمان، 1997.